سلمى

لا تتعدى المسافة التي قطعتُها بضعة أمتار، لكنها بدت لي وكأنها عشرات الكيلو مترات، يغزو العرق جسمي كله، تتسارع دقات قلبي، بالكاد أستطيع التقاط أنفاسي، قررت أن أُنهي تلك المعاناة، فألقيت بجسدي المتهالك داخل التاكسي.

_ هل أقتل نفسي كي أبدو كما يريدون؟!

في المساء طلبت مني أمي أن أذهب معها لحضور حفل زفاف إحدى قريباتها، لكنني رفضت فذهبت معها أختي (ملك)، أهرب دائمًا من حضور تلك المناسبات، لا أجني منها سوى المزيد من السخرية والتندر.

«المفترض آخذ نصيبك من البسبوسة، كيف تتحملين نفسك هكذا؟ أنا لو أصبحت بهذا الشكل أنتحر..!»

وغيرها من الجمل التي تجمع بين الهزل المقبول وانعدام الذوق، يقذفونها في وجهي كقنابل تحرق روحي، (سلمى تش تش) اسم اعتادوا على مناداتي به، أُقابل ذلك كله بالضحك، أُسِرُّ حزني في نفسي ولا أبديه لهم.

أختي (ملك) هي التي تشعر بالحرج، تُزعجها سخريتهم، لكنها بدلًا من أن تغضب عليهم، تغضب على أختها..!

_ أصبحنا أضحوكة أمام الناس بسببها.

بعد أن تصبّ جام غضبها في أذن أمي، تأتيني الأخيرة لتفرغ ذلك في رأسي:

_ اعملي ريجيم يا بنتي، حاولي أن تغيري من نفسك.

أجبتها بابتسامتي المعهودة وأنا أمُدُّ يدي بقطعة كنافة نحو فمها:

_ حاضر يا قلب بنتك، خذي قطعة كنافة.
لكنها أشاحت بيدها في وجهي، فسقط الطبق على الأرض، قالت وهي تخرج من غرفتي:
_ من يقبل الارتباط بواحدة بهذا الحجم، أختك الصغيرة خُطبت قبلك..!
ماذا يريد مني هؤلاء، حاولت غير مرة أن أسير على نظام غذائي؛ لأتخلص من نقدهم اللاذع، لكنني لم أفلح أبدًا، ثم أن هذا جسدي لا جسدهم، لماذا ينزعجون؟! نمت ليلتها والدموع تحتضن الوسادة، وتؤنس وحشتي.
قلتُ لنفسي وأنا أراقب جسدي عبر المرآة صباحًا:
_ حسنًا، سأخوض معركة جديدة، ربما أفوز هذه المرة.
بداية سأذهب لعملي دون تناول الإفطار، وهناك لن أملأ بطني بالتسالي التي تملأ حقيبتي، سأخرجها الآن، كذلك لن أتناول الساندويشات التي يجلبها لنا صاحب المحل، سأظل دون طعام حتى ساعة الغداء، ملأني الحماس، عقدت معه صفقة، آمل أن تكون رابحة.
بدأتُ تنفيذ الخطة، وتجاوزت أولى التحديات، في المحل بدأت معمعة البيع والشراء، استعنت بالله على ثقل بعض الزبائن ونظراتهم العارية من الذوق، إحدى الفتيات جاءت لتشتري فستانًا يناسبها، فلم يفتها أن تبدي رأيها في امتلاء جسدي:
_ أذوق الأمرّين في إيجاد ما يناسبني، أين تجدين مقاساتك؟!
ألفظ سخافاتهم كل يوم مع قشور اللب، وأُخرج غضبي على أرغفة الساندويشات..!

قبل ميعاد عودتي إلى المنزل بساعة، أحسست بانتهاء طاقتي، لا أستطيع الوقوف على قدمي الثقيلتين، أشعر بدوار شديد، جلست على كرسي في المحل، راودتني معدتي عن قطعة حلوى في حقيبتي، لكنني لم أشعر بنفسي بعدها إلا وأنا ملقاة على السرير..!

خسرت الصفقة كالعادة، ساءت حالتي النفسية بعد ذلك، فكنت لا أفعل شيئًا سوى الأكل.

تهلّل وجه أمي وهي تخبرني -ذات مساء- بأن خالتي (عزيزة) ستزورنا غدًا وفي يدها عريس جديد، قابلت قولها بوجوم دون تعليق، وكأنها تتحدث عن أمر يهمّ غيري.

جلس بجوار أمه، يرمقني بنظرات متفحصة، وأمه تلوي شفتيها، ثم تفتعل ابتسامة سخيفة، والخالة (عزيزة) تعمل بالجنيهات التي سلبتها من أمي، فتطلق أطنان المديح، تركتهم يكملون جلستهم مع أمي، التي قامت؛ لتجلب فوجًا آخر من أطباق الحلوى زيادة في الترحيب.

_ ما هذا يا خالة، إنها في سن أمي تقريبًا؟

_ شابة صغيرة يا ابني، لكنها سمينة قليلًا.

أضافت أمه:

_ قليلًا، دي وزنك عشر مرات يا عزيزة، باب الشقة ما يدخلها.

لم أتمالك نفسي، انتقمت لها بكلمات لم تخرج من فمي قبل اليوم، أغلقت الباب خلفهم بعنف، وأنا ألعن كل من يعطي نفسه الحق في التعليق على مظهري.

كنت ذات مساء أتجول على (الكورنيش) لعلي أستعيد في هذا الهواء الطلق بعضًا من روحي الضائعة، وقعت عيناي عليها،

نحيفة جدًا إلى الدرجة التي جعلتني أقف مذهولة بضع دقائق قبل أن أقترب منها، يبدو من احمرار عينيها أنها كانت تسامر دموعها، أثارت شفقتي، قلت لها بصوت متردد:

_ هل بإمكاني مساعدتك؟!

أطالت النظر إليّ، وهي تنقل عينيها بين وجهي وجسدي، كعادة كل من يراني لأول مرة، جلست بالقرب منها، أبدو بجانبها كفيل يجاور أرنبًا، تملكني شعور بالضحك، حاولت مقاومته، ولما عرفت منها أنها تتعرض للسخرية ممن حولها؛ لشدة نحافتها، فقدت السيطرة تمامًا وانطلقت في ضحك هستيري جعلها تتركني غاضبة، جريت خلفها، قلت بصوت أسمعه لأول مرة:

_عيشي حياتك كما تريدين ولا تلتفتي.